عولمة الدين وازدياد حركات التشكيك فيه

أوس عز الدين عباس

١ - ٢

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ،تنبأ عدد كبير من كبار الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين في أوروبا بأن الدين سوف يختفي تماما من حياة البشر، إلا إذا أدخلت عليه تعديلات تتناول بعض تعاليمه وأحكامه وتصوراته عن الإنسان وعلاقته بالكون، بحيث يتلاءم مع التغيرات المستمرة في أساليب التفكير وأنماط الحياة الحديثة ،وتقدم وازدهار التفكير العلمي، ومع الاتجاهات الجديدة الحالية والتي أخذت تفرض نفسها بقوة كنتيجة طبيعية للأوضاع المتغيرة في المجتمع الغربي بوجه عام .

لقد ازداد اتساع نطاق حركات التشكيك في جدوى الدين وفاعلية الدور الذي يستطيع أن يقوم به في عصر تحكمه نتائج البحوث العلمية الدقيقة والإنجازات التكنولوجية المذهلة ،وخاصة في مجال الهندسة الوراثية وارتياد الفضاء ،والتي أثارت كثيرا من التساؤلات حول بعض المسلمات الدينية الراسخة واعتبارها في نظر الكثيرين من العلماء مجرد أوهام وأمورا لاعقلانية ،كما حدث مثلا بالنسبة لفكرة الخلق بعد ظهور نظرية ((داروين)) التطورية ،ثم أخيرا بعد اكتشاف الشفرة الوراثية وإمكان تطبيق عملية الاستنساخ على البشر وتغيير كثير من المقومات المتصلة بطبيعة الفرد وسلوكياته والتحكم في مسيرة التطور البشري ،وكانت مثل هذه الشكوك قد أثيرت وعلى نطاق واسع في سلسلة المحاضرات الشهيرة والتي قدمتها بالإذاعة البريطانية في خمسينيات القرن الماضي أستاذة الفلسفة ((مارجريت نايت)) تحت عنوان رئيسي هو ((أخلاق بغير دين)) ،والتي عرضت فيها وجهة نظرها حول تراجع الدين والأخلاق في المجتمعات الغربية الحديثة ،وإمكان قيام أخلاق وضعية تحكم الناس وتوجه سير الحياة دون الحاجة إلى الاسترشاد بالمبادئ والقواعد والأحكام الدينية والخضوع لتعاليم الدين ،وعلى الرغم من الجدل الواسع والعنيف الذي أثارته تلك المحاضرات في ذلك الوقت ،والاستنكار الواسع الذي قوبلت به ،فقد كانت في بعض أبعادها مؤشرا على فداحة الأخطار التي تهدد المجتمع نتيجة الانصراف عن الدين كمصدر للأخلاق ،ويعترف الكثيرون الآن بأن المجتمع الغربي يعيش في مرحلة يصفونها بأنها مرحلة ما بعد المسيحية ،حيث لا يرتبط معظم الناس بأي عقيدة دينية سماوية ،كما يسلم الكثيرون في أوروبا بالذات بأن كل الأديان تعاني التراجع باستثناء الإسلام الذي يشهد تمددا وانتشارا خارج الحدود الجغرافية التي ارتبط بها دائما على ما يقولون .

ولكن هناك وعلى الجانب الآخر من ينكر ،بأن الدين وبالمعنى الواسع للكلمة ،والذي يشمل كل المعتقدات ،يعاني حالة الانصراف عنه بدرجة تهدد وجوده ،ويرون إن العكس هو الصحيح ،إذ الملاحظ بوجه عام إنه في الوقت الذي تسوده النزعات الوضعية في المجتمعات الغربية ،فإن الدين كمفهوم وإحساس ومشاعر لا يزال قائما في وجه كل التحديات ،وإذا كان ((نيتشه)) قد أعلن منذ أكثر من قرن عن ((موت الإله)) ،فإن ثمة حركات إحيائية قوية للدين واتجاها واضحا نحو العودة إليه في مجتمعات الغرب ذاتها ،وإذا كان ((فرويد)) قد اعتبر الدين مجرد وهم ،وإن على العالم أن يتجه بقوة نحو العلمانية ،فإن ثمة من المفكرين المعاصرين من يرى بأن الدين لا يمر بمرحلة تراجع أو انكماش تهدد وجوده ،وإن كل ما يحدث هو عملية مراجعة لإعادة تشكيل بعض الجوانب التي ترتبط بالظروف المتغيرة دون المساس بالثوابت ،وإن هذه الحركات الإحيائية تهدد العلمانية التي لا تلبي حاجات الإنسان الطبيعية مثلما يفعل الدين ،ولذلك فالدول الشيوعية السابقة تشهد الآن عودة إلى الدين الذي لم يندثر تماما في أي وقت من الأوقات أو تحت أي ظروف مناوئة ،ففي عام ((٢٠٠٦)) وبعد خمس عشرة سنة من سقوط الاتحاد السوفيتي تبين إن أربعة وثمانين بالمئة من سكان روسيا كانوا يؤمنون دائما بالله ،بينما لم يعترف سوى ستة عشر في المئة فقط بأنهم لا دينيون ،وكذلك يلاحظ إن التيارات الدينية تستحوذ الآن بطريقة متزايدة على الحكم في كثير من دول العالم بما في ذلك الولايات المتحدة ،حيث يتمتع اليمين الديني المحافظ بوجود سياسي قوي ،كما إن حركات الإحياء الديني امتدت إلى الشعوب والمجتمعات القبلية التي فقدت ديانتها الوطنية وتحولت إلى المسيحية تحت وطأة الاستعمار وتأثير الكنائس الغربية في إفريقيا بالذات وما ترتب على ذلك من ضياع الهوية الثقافية وفقدان القيم الأخلاقية الأصيلة .

ويذهب بعض علماء الأنثروبولوجيا إلى إن هناك في الوقت الحالي حوالي مئة ألف ديانة وعقيدة وعبادة تتفاوت في ما بينها من حيث الحداثة والقدم ومدى الانتشار وقوة التأثير وتعقد الطقوس والممارسات أو بساطتها والارتباط بالحياة الواقعية وأحداثها أو التباعد عن الأمور الدنيوية ،وعلى الرغم من كل التغيرات وحركات التمرد على الموروث فإن ثمة ما يشير إلى وجود نزعة قوية حتى بين الشباب في العالم الغربي إلى العودة إلى الدين ،فكثير من القيم المتوارثة والتي كانت تعتبر مرجعا للسلوك بدأت تنحسر ،ولذلك يرى الكثيرون في الدين مصدرا للسلوك والأخلاق ويساعد على تماسك المجتمع .

وترجع تلك النزعة إلى العودة إلى الدين من بعض الوجوه إلى الشعور بالحاجة إلى الارتباط أو الانتماء إلى شيء أكبر و أكثر دواما من الواقع المحسوس والمتغير بكل تقلباته ومفاجآته غير المحسوبة والتي لا يشعر الإنسان إزاءها بالأمان والاستقرار ،وهو شعور طبيعي وغريزي يتحقق بأفضل صورة من خلال الانتماء إلى الدين ،وهذا أمر واضح حتى في حالات الانتماء إلى ديانات غير سماوية بل وإلى المعتقدات السائدة في المجتمعات البدائية والممارسات العشائرية التقليدية كما يبينها علماء الأنثروبولوجيا ،ولا يتعارض ذلك الانتماء مع الاهتمام بشؤون العالم المرئي المحسوس ولا بالحياة ،على ما يقول ((جوناثان بثنول)) أستاذ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في كلية ((الجامعة)) بلندن ،في كتابه الذي صدر في عام ((٢٠٠٨)) بعنوان ((العودة إلى الدين)) ،وله عنوان فرعي أيضا ،والذي يكشف عن مدى تهديد الإيمان للنزعة العلمانية .

وثمة عبارة متداولة في كثير من الكتابات الحديثة تذهب إلى أنه بدلا من أن نقول إننا أصبحنا متدينين لأننا كائنات اجتماعية ،فالأحرى أن نقول إننا أصبحنا كائنات اجتماعية ،لأننا متدينون بالفطرة ،وهذه المقولة يدافع عنها بشدة ((نيكولاس ويد)) في كتابه الطريف عن ((غريزة الإيمان)) ،والذي صدر في عام ((٢٠٠٩)) ،وفيه يتكلم عن وجود ((جينات الدين)) لدى الجنس البشري ،ولذلك فالإنسان متدين بالفطرة ،وهذه الخاصية لازمته خلال كل مراحل تاريخه الطويل ،إذ كان الدين بمختلف أشكاله وصوره وتعاليمه أداة للتماسك الاجتماعي ،كما كانت محاولات المحافظة على الجماعة الدينية وتماسكها هي أساس الصراع من أجل البقاء ،عن طريق البحث عن مصادر القوت والغذاء لها ،وعلى ذلك فإن الانتخاب الطبيعي يصدق على الجماعة مثلما يصدق على الأفراد ،وهذا معناه إنه من الخطأ الاعتقاد بأن الدين يتراجع ،بالرغم من كل المظاهر التي قد تشير إلى ذلك ،لأن الدين ((مغروس)) في الجينيوم البشري ،وإنه إلى جانب دوره في إعطاء معنى ومغزى للحياة والوجود فهو شيء غريزي ناجم أصلا عن ذلك ((الجين الديني)) .

منطقة خضراء جديدة

صبيح الحافظ

أعلن مجلس النواب الخميس ٢٢/ أيلول/ ٢٠١١ أنه سيتم الإعلان عن مسابقة لتقديم التصاميم المعمارية الأساسية لمبنى البرلمان الجديد ، وقد تم تشكيل لجنة تضم أعضاء من مجلس النواب ووزارة الإعمار وأمانة بغداد ودائرة الاستشارات الهندسية برئاسة مستشار رئيس مجلس النواب لهذا الغرض.

وسيضم المبنى بناية لسكن أعضاء البرلمان وأسرهم وبناية للأمن وبناية لمقرات الكتل النيابية وبناية للمركز الإعلامي للبرلمان وقناة فضائية وجريدة وبناء مركز طبي ومصرف وبناية مركز تطوير وتدريب نيابيين وبناية المجلس الاتحادي، وستتسع قاعة المبنى الجديد لـ (١٥٠٠) مقعد، وقاعة الاجتماعات لـ(٧٠٠) مقعد وقاعة للمقابلات الصحفية لـ(١٥٠) مقعد ، وقد خصصت قطعة ارض مساحتها (١٠٠) دونم في موقع مطار المثنى لإنشاء مشروع مبنى جديد للمجلس البرلماني بقيمة مليار دولار.

هذه هي مرافق مشروع المبنى الجديد لمجلس النواب ، وقد تضاف مبان أخرى لسكن موظفيه وأسرهم وأخرى للخدمات،كالأسواق والمدارس ودور حضانة ورياض أطفال ، وبما أن المشروع بهذه السعة الكبيرة فبالتأكيد أن تنشأ شبكات للكهرباء والماء والمجاري وغيرها ، وبالضرورة سوف يقام جدار كونكريتي يحيط بجميع جهاتها تنصب عليه أبراج المراقبة والمصابيح الكبيرة الكاشفة ، وذلك لحمايتها من الاعتداءات الخارجية وسوف يترتب على هذه الإضافات مبالغ أخرى للكلفة التخمينية البالغة مليار دولار.

وإذا ما تم إنشاء المشروع وإكماله ببناياته ومرافقه العديدة ستصبح المنطقة (منطقة خضراء جديدة) وستنعكس آثارها على الشعب العراقي وخاصة الطبقة الفقيرة ، إذ أنها سوف تشعر بخيبة أمل من المسؤولين في الدولة لعدم التفاتهم بشكل رئيسي لما يعانونه من أزمات وشكواهم المريرة من انعدام الخدمات وكل ما يحفظ لهم كرامتهم ويحقق آمالهم المشروعة ، ويزيل عنهم الإحساس بالقهر والأسى.

إن توقيت البدء بتنفيذ مشروع بهذه السعة الواسعة وبناياته لإسكان أعضاء البرلمان وعوائلهم وبهذه الكلفة الباهظة (مليار دولار) وفي هذه الأيام غير مناسب ،أي انه سابق لأوانه. وكان من الضروري والواجب لصاحب الفكرة والقرار بالتنفيذ أن يأخذ الأولويات والأهم من المهم للمشاريع ذات التأثير المباشر للمواطنين ، وعلى سبيل المثال أزمة السكن التي تعانيها الطبقة الفقيرة ، وأن مبلغ المليار دولار لإنشاء مبنى جديد للبرلمان لو وظفت في مشروع إنشاء وحدات سكنية ذات الكلفة الرخيصة سوف تغطي كلفة إنشاء (٤٠) أربعين ألف دار سكنية ، أي بمعنى آخر سوف تستفيد به (٤٠) أربعون ألف أسرة عراقية فقيرة من ساكني أكواخ الصفائح المعدنية.

لو قام رئيس مجلس النواب والمسؤولون الآخرون أصحاب القرار بزيارة (حي طارق ، وحي الرئاسة ، وحي سبع قصور) في شرقي بغداد لشاهدوا السواقي لتصريف المياه القذرة والتي تمر إما بيوتهم وفيها بعض الحيوانات النافقة مثل الكلاب والقطط وأن أطفالهم الصغار الحفاة يمارسون اللعب بقربها، سوف يكون الوضع مختلفاً.

ولو قام المسؤولون بزيارة مناطق بغداد القديمة مثل منطقة أبو سيفين وقنبر علي وأبو دودو وطيطران والفضل وبيوتهم ذات المساحة (٤٠)م٢ ولم تدخلها أشعة الشمس طيلة النهار وفيها(زواغير) الأفاعي والعقارب والفئران فسوف يكون الوضع مختلفاً أيضاً.

وأخيراً ،نحن لسنا ضد إنشاء مبنى جديد للبرلمان يليق بممثلينا الأعزاء أعضاء البرلمان وإنما نقول هو ليس من الأولويات التي يجب تنفيذها ، أي أن تنفيذ المشروع في الوقت الحاضر سابق لأوانه ، وأن بناية قصر المؤتمرات تغطي الحاجة لعقد جلساته فيه ، لا سيما أن ما يقارب نصف الأعضاء هم في حالة غياب دائم.

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري
ihsanshamran@yahoo.com

كل خميس:
استذكاراً لصراحة (أبو كاطع)

نواصل في هذا العمود إعادة نشر بعض ما كتبه الراحل (شمران الياسري- أبو كاطع) في عموده الشهير (بصراحة أبوكاطع) قبل أكثر من ثلاثة عقود، لنُريح الناس، وليستذكروا سخريته ممن كانوا مسؤولين عن خلق المعاناة لهم.. فالترويح عن الناس جزء مهم من تعزيتهم عما ينقصهم، وكان الراحل رائداً في إبهاجهم.. ولن نشير إلى صلة تلك الكتابات بزماننا، بل يكفي أن يستمتع القارئ بها، ويخمّن (رباط الحچي):

الچــلاوي والكلب!

نشرت صحيفة الاهـرام -في مطلع هذا الشهر- الخبر الآتي، -كما نقلته وكالة الانباء الفرنسية:
(ان موظفا مصريا سيبيع احدى كليتيه الى مريض سعودي مقابل عشرين الف جنيه مصري.. وان هذا الموظف المصري كان اول من لبى العرض الذي نشرته الصحف. ومن المقرر ان يتوجه الرجلان -المصري والسعودي- الى لندن، حيث، تجري عملية زرع الكلية للسعودي.. والموظف -المصري- اب لثلاثة اطفال) انتهى خبر الاهرام.

- وانتهيت الى ان أضع يدي على كليتي!
- من قبل، يوم أذيع نبأ نجاح زراعة قلب انسان لإنسان، سألني زميل: لو زرعوا لي قلب فلان، واحد من شيوخ النفط، هل يخفق قلبي فرحا للخطوات التقدمية اللاحقة على درب مسيرة وطننا؟!
- ضحكت يومها! السؤال (سوريالي!)
- وأنا أقرأ ما نشرته الاهرام، وضعت يدي على كليتي (مشاركة) وحين تجسمت الصورة وضعت اليد الاخرى على قلبي خوفا مما تفعله الفلوس: شراء كلى.. وقلوب. وابتلاع منجزات حققها شعب مصر بتضحيات غالية..
- ويظل الخوف من هذا الاخطبوط يتسع.. ما لم نضيّق دائرته باليقظة.
- في قريتي يطلقون على السفيه قولهم (.. لا كَلب ولا چلاوي).
- وذات يوم تغزّل الشاعر المشهور (ابو الغمسي) فقال (من بين ما قال):
(يابعد جوز الچلاوي والكلب!)

كاريكاتير

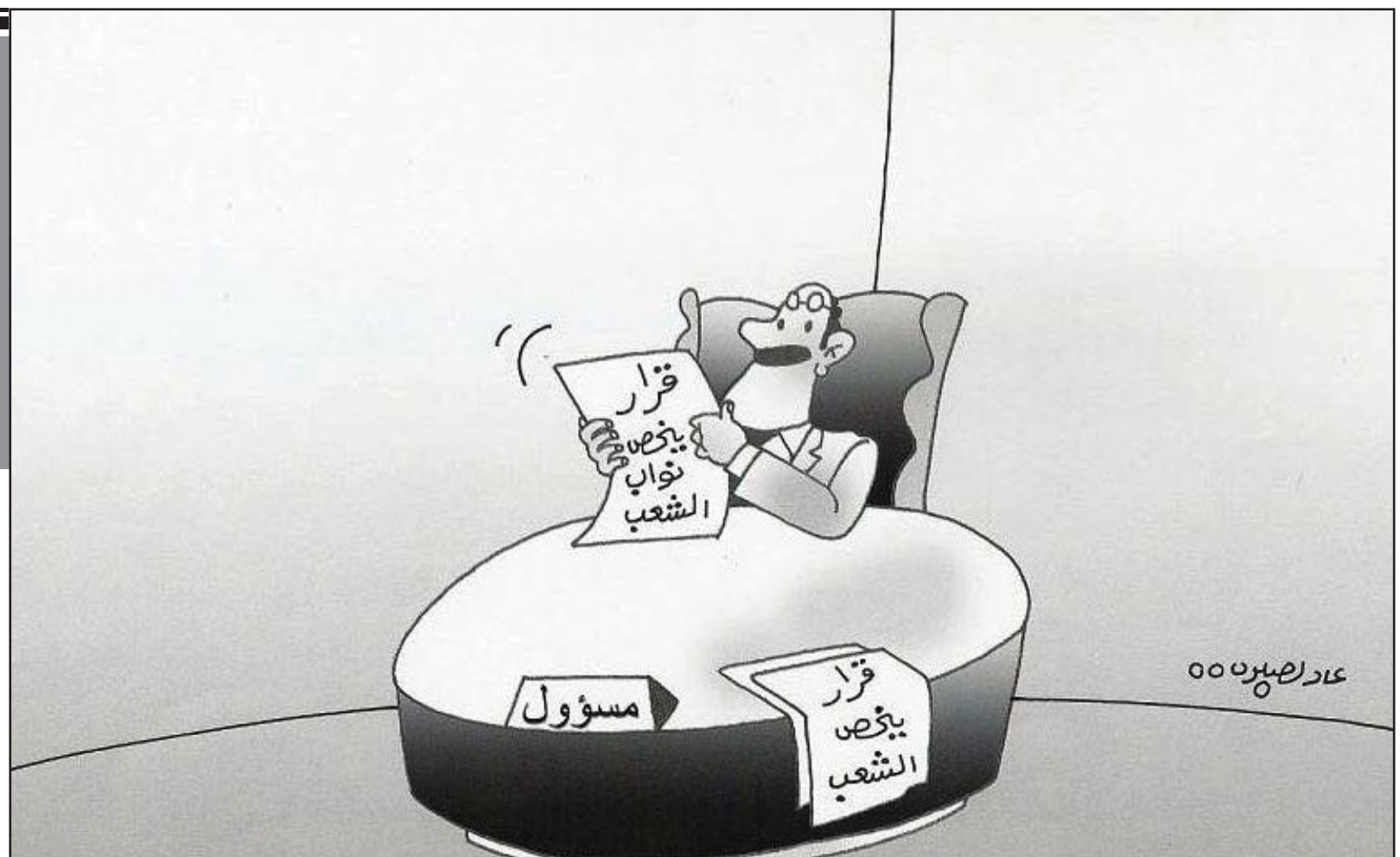

■ عادل صبري

هــل تعكســن المجــلات النسـائيــة واقـع المــرأة؟

إيمان محسن جاسم

عندما تتوقف أمام أية مكتبة أو كشك لبيع الصحف والمجلات في الدول العربية ستجد كماً هائلاً جداً من المجلات التي تشعرك بأنها تهتم بالمرأة وشؤونها،وعادة ما تكون طباعتها أنيقة وأوراقها كثيرة لدرجة لا يمكن تصورها وبعناوين جذابة جداً تشد الناظرين إليها.

وللوهلة الأولى تشعر بأن المرأة العربية نالت كل حقوقها بدليل إن عشرات إن لم تكن مئات المجلات المتخصصة بشؤون المرأة تصدر دوريا من أجل عيون حواء العربية وتوزع بكميات كبيرة جدا ، وتحمل بين صفحات عدد كبير من صفحات الإعلان الموجه للمرأة باعتبارها مستهلكة لمنتجات كثيرة أغلبها كماليات استغنت عنها المرأة العربية منذ عقود طويلة ولم يبق لهذه الكماليات وجود إلا في قصور أمراء النفط ونساء البلاط.

ويمكنني القول بأن أعداد هذه المطبوعات تتزايد باستمرار لدرجة لا يمكن حصرها أو إعطاء رقم تقريبي لها،ولكن لم يسأل أحد رجلاً كان أم امرأة لمن تطبع وتروج هذه المجلات ؟ هل هي تستهدف تطوير

هل يمكننا القول بأن المجلات والمطبوعات الكثيرة التي تحمل عنوان (المرأة) تمثل واقع المرأة ، أم أنها تستغل المرأة، أم يا ترى أنها تتخذ من المرأة وسيلة للإعلان؟

المرأة العربية وانتشالها من حالتها الصعبة اجتماعيا واقتصادياً وسياسياً؟

والأهم من هذا وذاك لم يخطر ببال أحد منا بأن أغلب هذه المجلات تصدر في دول تُصادر أبسط حقوق المرأة كحقها في قيادة السيارة مثلاً، أو الترشيح للمجالس النيابية أو حتى حق التصويت باعتبارها نصف المجتمع وربما أكثر من النصف ، بل إن بعض هذه الدول تحدد المرحلة التعليمية للمرأة وتمنعها من إكمال مسيرتها التعليمية.

وتزايد أعداد المجلات والمطبوعات التي تهتم بالمرأة العربية لا يعني بالضرورة إن حواء العرب قد تجاوزت المصاعب التي تواجهها منذ الأزل ، وبدأت تدخل عالما آخر أقرب ما يكون للوهم منه للحقيقية.

ومن يتصفح هذه المطبوعات يجدها بأنها تصور الحياة للمرأة العربية بشكل مغاير تماماً، وتتجاهل هذه المطبوعات ملفات اجتماعية عديدة أهمها ملف الفقر الذي يتربع العالم العربي على عرشه منذ سنوات حتى وصلته نسبة أكثر من ٤٠٪ من سكان الأرض الناطقة بالعربية، وطبيعي جداً أن تكون حصة الأسد من هذه النسبة للمرأة.

وتتجاهل أيضا ملف الحريات وحقوق الإنسان،هذا الملف الذي تدفع حواء ثمنه مضاعفاً، مرة لأنها إنسان في العالم العربي، ومرة لأنها امرأة في هذا العالم .

ومع هذا تقدم لهن المطبوعات والمجلات النسائية باقات متعددة وبصورة ملونة جذابة عن العطور الفرنسية والأوربية، ملابس الصيف والشتاء ، ملابس السهرة ، أدوات الزينة ، وبالتالي فإنها تضعهن في عوالم كاذبة وهمية لا وجود لها إلا في القصص والأفلام، بعيدة كل البعد عن واقع المرأة العربية،هذا الواقع الذي لم يلامسه أحد بعد ولم يقترب منه .

وحتى المرأة العربية المثقفة، تجدها هي الأخرى غارقة في وحل مشاكلها وهمومها ووقتها المبعثر ما بين البيت والعمل والزوج والأولاد، و بالكاد تجد فيه متنفسا للراحة ، لهذا نجد بأن ثمة فجوة كبيرة جداً بين صُناع الإعلام والصحافة النسائية وبين المرأة ، خاصة إذا عرفنا بأن دخل المرأة العاملة حتى وإن كانت أستاذة في الجامعة في الكثير من الدول العربية لا يكفي لاقتناء فستان سهرة من تلك الفساتين التي تروج لها مجلات المرأة في عالمنا العربي ، بل أحياناً كثيرة لا يسمح دخلها الشهري بشراء هذه المجلات !! خاصة وإن أولويات الأسرة دائماً ما تكون منصبّة على توفير الغذاء والدواء وتلك مسؤولية حواء في تدبير ميزانية الأسرة .

ما دفعني لأن أتناول هذا الموضوع هو إنني وضعت أمامي عشرات المجلات المختصة بالنساء ولم أجد ما يمكن أن يجعل المرأة العربية تغادر مناطقها الاستهلاكية التي غاصت بها، وفشلت الصحافة النسائية بأن تحولها لعنصر منتج وفعال بقدر ما استخدمتها لتمرير الكثير من الإعلانات الكمالية بطريقة أو بأخرى.

لقد أهملت الصحافة جانبا مهما جداً يتمثل بأنها تجاهلت قضايا المرأة الأساسية،وتعاملت معها من خلال الجسد ، وحرمتها من أن تمارس دورها وأن تعي قضاياها وتناقشها وتستدل على الحلول للكثير من هذه القضايا الصعبة، وكيف تتعامل مع مشاكلها ومشاكل المجتمع،وكيف تغيّر نظرة المجتمع إلى المرأة وتنقلها لمكانتها الحقيقية .